الرسالة السامية التي وجهها أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله وأيده، إلى المشاركين في الندوة العلمية الدولية في موضوع:

"ضوابط الفتوى الشرعية في السياق الإفريقي"

التي احتضنتها مدينة مراكش من 8 إلى 10 يوليوز 2023م

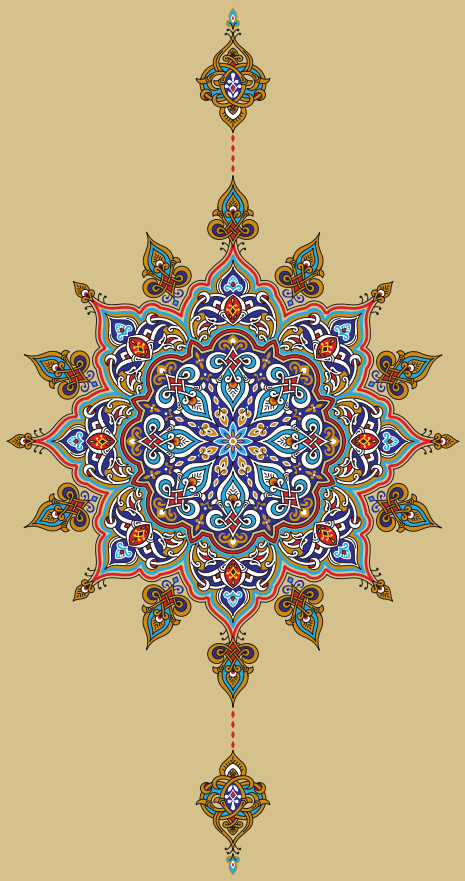

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

أصحاب الفضيلة،
حضرات السيدات والسادة،

إنه لمن دواعي اعتزازنا أن نتوجه إليكم بهذه الرسالة، وأنتم مجتمعون لتدارس موضوع لطالما كانت له مكانة خاصة في نفوسنا، ألا وهو موضوع الفتوى في أحكام الشريعة والنوازل المستجدة، وذلك من منطلق الأمانة التي لوّفنا الله بها في حماية الدين من مختلف نزوعات التطرف والانغلاق وأسباب الفتنة.

ومما يزيدنا اطمئنانا أن دعوتكم لتدارس هذا الموضوع، قد صدرت من مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة. هذه المؤسسة التي ما لبثت، منذ أن أسسناها قبل ثماني سنوات، تحقق الأهداف التي رسمناها لها، ومنها توحيد وتنسيق جهود العلماء المسلمين من المغرب وباقي البلاد الإفريقية الإسلامية، للتعريف بقيم الإسلام السمحة ونشرها وترسيخها، والقيام بمبادرات من شأنها تفعيل قيم الوسطية والاعتدال والاجتهاد في كل إصلاح تتوقف عليه عملية التنمية في إفريقيا، سواء على مستوى القارة، أو على صعيد كل بلد من بلدانها.

.../٠

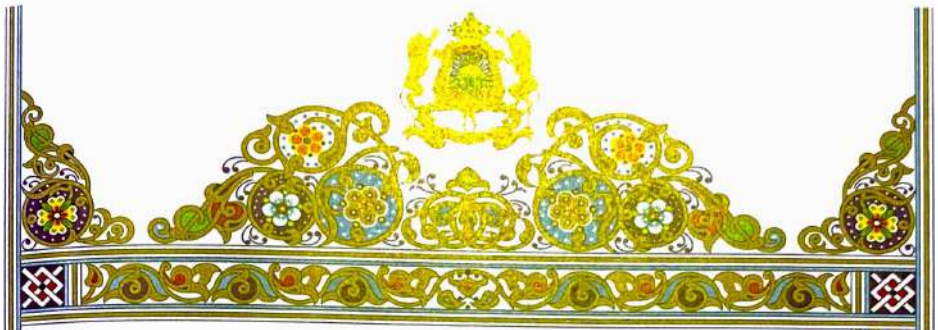

أيتها السيدات، أيها السادة،

لا يخفى عليكم أن من لغات إنشاء مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، هو استيعاب التراث الغني، المتمثل فيما رسخه السلف الصالح عبر القرون، من الروابط المتينة والمتعددة، الأبعاد بين المملكة المغربية وبلدان إفريقيا جنوب الصحراء.

هذه الروابط القائمة على الثوابت المشتركة بين المغرب وبين أشقائه الأفارقة في العقيدة وفي المذاهب السنية المعتدلة. وقد قامت هذه الثوابت على أسانيد السلوك التي رعتها الطرق الصوفية من جهة، وعلى أسانيد العلم الشرعي المروي عن سلسلات المشايخ الثقات من جهة أخرى. فالسلوك والعلم الشرعي هو فكرنا الديني وجهان لعملة واحدة.

وإذا كان التواصل بين إمارة المؤمنين في المغرب وبين مشيخات طرق التصوف في البلدان الإفريقية قد امتد عبر القرون، وما يزال، فقد وقفنا الله في هذا العصر لما أصبح ضرورة ملحة، وهو إنشاء إطار مؤسسي للتواصل بين العلماء والفقهاء والمفتين، وذلك إدراكا منا للتحديات المستجدة، المرتبطة بتطور الحياة الاجتماعية والحضارية في شتى مناحيها، وضرورة تنزيل الأحكام الشرعية عليها.

فالمسؤولية التي يتحملها علماء الدين على الدوام مسؤولية عظمى، وقد ازدادت أهميتها وخطورتها في هذا العصر، وهي أمانة جسيمة أمام الله وإزاء الناس الذين ينظرون إلى العلماء على أنهم المرجعية الوثقى في تبليغ دين الله أولا، وفي حسن تنزيل مقاصده على أحوال الناس ثانيا.

ومرجع العلماء في تحمل هذه المسؤولية هو ما بلغنا من هدي جدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام، في الحديث

.../.

الشريف: ﴿يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين﴾. إن هذه الأصناف الثلاثة موجودة اليوم في زمرة الخائضين في شؤون الدين.

ومن ثم فالعلماء مطالبون بالتأثير الإيجابي في الناس، وذلك بأن يبينوا لهم محاسن الوسطية والاعتدال، وأن يقوموا مقابل ذلك بنفي التأثير السلبي للأصناف المتطرفة الجاهلة في عقول الأبرياء، لا سيما وهؤلاء المنحرفون يدرجون جل كلامهم عن الدين في صنف الإفتاء والفتوى، لما لها من القدسية في أذهان الناس.

وانطلاقا من هذا الواقع، ومن ضرورة حماية دين الله في ممالكنا الشريفة بالواجب في مأسسة الفتوى، بأن جعلناها جماعية من ضمن اختصاصات المجلس العلمي الأعلى، الذي يستنبته الناس في أمور الشأن العام ذات الصلة بالدين، بينما يقوم العلماء كأشخاص، بإرشاد الناس للأحكام الدينية التي لا تدخل في الفتوى ذات الصلة بالحياة العامة. ولربما كان هذا الشرط هو ما ينبغي الأخذ به في كل بلد من البلدان الإفريقية، وهو جعل الفتوى في الشأن العام موكولة لمؤسسة جماعية من العلماء العدول الوسطيين الذين يلتزمون بثوابت بلدهم ومذهبهم الشرعي.

أيتها العالمات الفضليات، أيها العلماء الأفاضل،

إن لقاءكم المبارك هذا في موضوع الفتوى، حري بأن يعمق لدى المسلمين اليوم معنى الوسطية، امتثالا لقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾. وهذا التوجيه الإلهي يجسد اليوم مدى ضرورة تجنب التطرف والتفرقة. وهو دعوة الناس دعوة ملحة إلى الاعتدال، والحرص على صيانة ضمائر الناس فيما يتعلق بالخلاف في بعض الجزئيات، والعزم

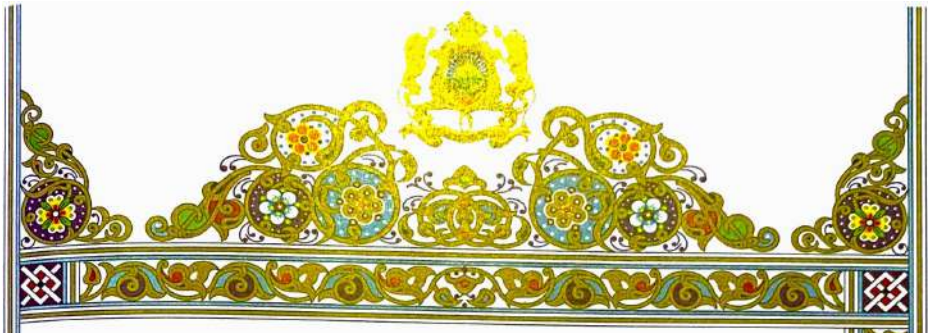

الأكيد على التعاون والتشاور الدوري بين العلماء على الصعيد الإفريقي، لمتابعة المستجدات في باب الطلب والاستجابة في باب الفتوى، وحرص المفتين على الاجتهاد لإدماج السلوكات الثقافية المحلية في دائرة المقبول الشرعي، ما لم يكن فيها ما يناقض القطعيات.

وفي هذا الشأن - أي إدماج الواقع المعيش في الدين- يعتبر علماء مملكتنا الشريفة مثالا يحتذى حيث ابتكروا في الفقه، عبر القرون السالفة، مفهوم: "ما جرى به العمل"؛ أي مراعاة الممارسات الثقافية المحلية للناس، وتمكنوا بذلك، تفعيلا لآليات الاجتهاد في المذهب المالكي، من الإفتاء بإدماج عديد من عوائد الناس الاجتماعية والثقافية في دائرة الأمور المنسجمة مع توجيهات الدين، ولا سيما من جهة ما يضمن المصالح الدنيوية، ومنها الاطمئنان النفسي.

كما يتعين على العلماء المفتين على الصعيد الإفريقي، تنمية المدارك وتبادل الأنظار، لا سيما فيما يتعلق بالفقه الواقع، وتدوين نتائج بحوثهم على مختلف أنواع "الحوامل" الإلكترونية المتاحة، تعميما للنفع وتعزيزا للتأهيل.

ومما يعين على التوفيق في موضوع الفتوى، الاستعانة بالخبراء من خارج الاختصاص في العلوم الشرعية؛ وهو سلوك معروف في تاريخ الفقه والفتوى ببلادنا.

حضرات السيدات والسادة،

إن البرنامج الذي اقترحتموه لندوتكم، حري بأن يحقق منطلقا رصينا لموضوع ضوابط الفتوى الشرعية في القضاء الإفريقي، لأنه حرص على الاستفتاء من خلال السعي

إلى تأصيل مفهوم الإفتاء وشرح ضوابطه وأهليّة المفتين، وإشكال الاختلاف في بعض المرجعيّات، والآفة التي يشكّلها التّروع للعصبيّات وتحدّي التّنزيل في سياق الأعراف والخصوصيّات.

كما سبق تناول التّنبيه إلى ما هو رافع اليوم من الجرأة على الفتوى من غير أهلها، وما قد يؤدّي إليه ذلك من نشر خطاب التّطرّف والتّكفير والكراهيّة. وإنّ تخفيف لجاجة هذا البرنامج يعترض الغدرة على التّعامل مع مجتمع التّواصل، في سياق التّكنولوجيا المتطوّرة.

وفي هذا المقام، نذهب بكم إلى استغلال حسنات التّواصل لضمان الاستمرار في التّداول بينكم حول موضوع التّدولة. ومن خلال هذا التّواصل تجتهدون وتتبادلون التّجارب، حيث تستفيد كلّ جماعة من العلماء، في بلد من البلدان من علم مجموع علماء إفريقيا الملتزمين بهذه المبادرة، مع احتفاظ علماء كلّ بلد بخصوصيّتهم في مراعاة خصوصيّتهم.

حضرات السّيدات والسّادة،

لا يفوتنا أن ننبّه إلى أنّ كمال مبادرتكم لضبط الفتوى يتوقّف بالضّرورة على إشراك النّساء العالمات في كلّ جوانب هذه المبادرة، لأنّ النّساء في ديننا شقائق الرّجال في الأحكام. ولأمّة الإسلاميّة أسوة في أمّ المؤمنين، سيّدتنا عائشة رضي الله عنها، وهي التي أخذ عنها المسلمون شطرا مهمّا من أحكام الدّين.

وانطلاقا من هذا الاقتناع في شأن الدّين، فإنّنا في مملكتنا نؤطّر النّساء والرّجال بعدد من العالمات والمرشدات،

.../

وللهدف نفسه تضطلع النساء بدور بارز في الإرشاد عبر الإعلام.

حضرات السيدات والسادة،

إن مؤتمركم هذا يدخل فيما أمر الله به من التعاون على البر والتقوى. وقد رأينا في هذا العصر أن كل بلد لا يأمن إلا بغدر ما يكون البلد الجار آمنا. كما نرى العشبة تعبر الحدود كما تعبر لها الروابع والرياح.

وفي الأخير نهنئكم على هذا المجمع العلمي المبارك، المنعقد تحت رعايتنا السامية، لمناقشة موضوع في غاية الأهمية، وعلى رأسها جعل الفتوى في شؤون الدين عملا مؤسسيا لا مجال فيه للنزوعات المتطرفة ولا للأهواء الضالة المضلة.

وفقكم الله وكلل بالنجاح أعمالكم،

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وحرر بالقصر الملكي بتمودان، في يوم الثلاثاء 15 ذي الحجة 1444هـ، الموافق 4 يوليوز 2023م.

محمد السادس

ملك المغرب